والتشديد والعقوبة والتأبيد وحكم عليهم بخلود أبد سبحانه بالهلكة
والخذلان بما استوجبوه من كفرهم الجحود والإنكار فصاروا بذلك معرض
ولأنه سبحانه من الهالكين كي السالكين والأخلاد مصيرون الرسل
حال ● فأخبر سبحانه أنه لم ينفعهم ما كان من إيمانهم أولا وما كانوا
عليه في ابتدائهم لأنهم ما ختموا أعمالهم من الردة والكفر موجب لهم
النار مصيرون به إلى شر دار جهنم يصلونها وبئس القرار ● وقد قيل
في ذلك إنهم آمنوا بموسى ثم كفروا به وعبدوا العجل ثم آمنوا بعده
ثم كفروا به ثم مضوا على كفرهم والمعنى الأول أقرب إلى الحق وهو
الذي صح من الخبر والله ولي التوفيق والعون والتسديد ● وسألت عن
قول الله سبحانه إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ● وقد سئل عن
هذه الآية الحسن رحمة الله عليه فقال المنافق هو من دين الله واحلاله
من كان يخالف قوله فعله يقول ما لا يعمل ويقول ما لا يفعل وفي أولئك
ومن كان كذلك ما يقول الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما
لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ● وفي ذلك وأولئك
ما يقول الله سبحانه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن و
لنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
وسألت عن قول الله سبحانه فيما أخبر عن قوم موسى عليه السلام إذ قالوا
أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ● فالقدر الذي عليه السلام
هؤلاء قوم من بني إسرائيل سألوا موسى أن يريهم الله جهرة فأرسل الله
سبحانه عليهم الصاعقة فأهلكتهم بظلمهم وشدة كفرهم وما
كانوا عليه من جهلهم وعظم فريتهم فسبحان الذي لا تدركه الأبصار
ولا تحيط به الأقطار ولا تحده الأوهام بفكر ولا تحيطه [illegible]
فقص عز وجل ما كان من فعل بني إسرائيل وجرأتهم إحسانا للنبي محمد
صلى الله عليه وعلى آله وللمؤمنين بما كان عليه أولئك من أسرار
وقوله إنهم فيهم وتعدوا بهم وشدة كفرهم وهم يرون الآيات
العظام ولا يرجعون ولا بها يتعظون ولا إلى الله سبحانه
من جهلهم يستغفرون فأخبر سبحانه أن هؤلاء الذين شاهدوا
وبالمعاينة يكفرون هم من أولئك الذين قد عاينوا عنهم من بعد
في تعليمهم ويسيرون بسيرتهم أهل جهل وضلال وباطل

وقال

والضلال والكفر والعناد ● ثم ذكر سبحانه اتخاذهم العجل من بعد أن
نجاهم من فرعون وما كان لهم في ذلك من اللطف والعون وما رأوا من
الآيات العظام من انفلاق البحر لهم طرقا ومسيرهم فرقا في جوف بحر
جددا فلم يشكروا إذ ذاك إذ عاينوه ولم يرجعوا عن عبادة العجل ولم
يتوبوا فكان زيادة ما لهم وتبيينا لغوايتهم وتوقيفا على كفرهم ●
وقيل كيف اتخذوا العجل من بعد أن أخذتهم الصاعقة قال قد أخبر الله
سبحانه بأخذها لهم وبعثهم من بعد موتهم فقال وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد
موتكم لعلكم تشكرون ● وسألت عن قول الله سبحانه وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم ● قال محمد بن يحيى عليه السلام أراد سبحانه
بذلك أن عيسى صلى الله عليه لما أخذه الظالمون ليهلكوه ويصلبوه من
لم يصلبوه فسلمه الله عز وجل من كيدهم ودفع عنه ما هموا به
من عظيم مكرهم وكان الشبه الذي كان يحرسه شبه عيسى في صورته
وخلقه فلم يعرفوا عند ذلك شبهه وبين عيسى عليه السلام في شيء من أمره
فلما أن بهتوا العبد عيسى صلى الله عليه وحده وأصحابهم في مكانه
فصلبوه ولم يشكوا فيه عند ما عاينوه أنه عيسى صلى الله عليه فأخبرهم الله
عز وجل عنه فقال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله
سبحانه عنهم وأخرجه من بينهم سالما مسلما ● وقوله وإن من أهل
الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته فهذا لبيان حاله وأنهم سيؤمنون
به قبل موته وذلك على ما يروا عند نزوله مع المهدي عليه السلام وإصلاح
الملوك رجوعهم وما وعد الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وعلى آله أن
يظهره على الأديان جميعا ولو كره المشركون ● وقيل هل يكون أن
من أسلم بهم وهذا الأكثر والذين يؤمنون به فهم أهل الكتاب وقد قال إن
عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقيم بعد المهدي عليه السلام سنين ثم يموت ●
ومعنى قوله لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والله سبحانه يشهد
بالحق وقد أخبر أنه من عنده وأنما أنزله بعلمه لا شك فيه ولا امتراء ثم قال
والملائكة يشهدون على حقه وصدقه ولن يضر الحق جحد الفاسقين
ولا إنكار المنكرين ● وقيل لم لم يشهد عليه الحق والأسر عامة لمن
يشهد عليه قوما منهم من يجحده وأكثرهم يصدقه ويشكره ولما أن جحده
أهل الكتاب وأنكروا أن يكون صفته في كتابهم وأخبار نصدقه وطاعته
عليهم قال ليس أن محمدا لنبي ليشهد على صدق ذلك إن أهل الكتاب
يجحدون وما جحده يجحدون اليهود والنصارى فاحتج بذلك المشركون